

بنية الجمل الخبرية والإنشائية في قصة موسى عليه السلام

The structure of the declarative and non-declarative sentences in the story of Moses peace be upon him.

نسيمة بومحديو *

المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف، ميله، الجزائر
n.boumehadiou@centre-univ-mila.dz

تاريخ الإرسال: 2025/05/28 تاريخ القبول: 2025/06/15 تاريخ النشر: 2025/06/30

الملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى تبيان أهمية البناء اللغوي في الإقناع وضمان سيرورة الأحداث في القصة، وذلك من خلال قصة موسى عليه السلام التي توزعت أحداثها على ربع سور القرآن الكريم.

وانتهت الدراسة إلى أن اهتمام القرآن الكريم بالقصة لا يقل أهمية عن اهتمامه بجمالية التصوير، إذ تجده يهتم بتناغم فواصل الآيات وإن توزعت على عديد السور، كما أنه يستعمل الأفعال الدالة على الحاضر في جمل يمتزج فيها الخبر والإنشاء ليقرب القارئ إلى أحداث القصة ويجعله يعايش كل تفاصيلها.

الكلمات المفتاحية: القصص القرآني ; الجمل الخبرية ; الجمل الإنشائية.

Abstract:

This study aims at showing the importance of the linguistic structure in persuasion and ensuring the progression of events in the story by focusing on the story of Moses peace be upon him, whose events are found in ¼ of Quran Surah.

Findings show that Quran's focus on the story is as important as its focus on the aestheticism of depiction. In this regard, it focuses on the harmony of verse endings, even if found in different Surah. Besides, it uses present verbs in sentences that combine declaration and non-declaration to get the reader closer to the events and make him live its details.

Keywords: Quran stories; declarative sentences; non-declarative sentences.

مقدمة:

سعى الأدباء العرب مع مطلع القرن العشرين إلى تطوير آدابهم مواكبة للعصر، فوجدوا في القصة ضالتهم المفقودة وغايتهم المنشودة في التعبير عن ذواتهم وانشغالاتهم، فكثر بذلك الأعمال الأدبية وتنوعت معها مصادرها بين ما هو مأخوذ من المجتمع، ومستمد من السيرة الذاتية، ومستوحى من التاريخ العربي الذي شكل مادة خاما بالنسبة لكثير من الأدباء في مقدمتهم جورجى زيدان.

وإذا كان فضل السبق في طرق باب الرواية التاريخية يعود إلى هذه الشخصية، فإن النص القرآني خاض في هذا المجال قبل أربع عشرة قرناً، فلولا قصصه لما تعرفنا على تاريخ الأمم الغابرة: تاريخ عاد، وثمود، وأهل الكهف، وأصحاب الأخدود، وغيرهم. ولولاها أيضاً لما استطاع سيد الخلق محمد ﷺ احتمال مشاق الدعوة، حيث كانت قصص السابقين عزاء له وقت المحن، ومصدراً يستقي منه العبر.

لقد صيغ القصص القرآني بطريقة فنية محكمة، شأنه في ذلك شأن سائر مواضع القرآن الكريم -وهذا ليس بالأمر العجيب، فهو الذي أعجز أمة طالما تباغت بلغتها وفصاحتها-، حيث اعتنى بسرد الأحداث التي تحركها مجموعة من الشخصوس تدور في إطار زمكاني معين، وكى تبدو الأحداث أكثر تشويقا استخدم الحوار الذي تنوعت جملة بين الخبر والإنشاء حتى يساهم في تفعيل مجريات القصة ونقلها بصورتها الواقعية إلى المتلقي، من هنا آثرنا أن تكون هذه الورقة البحثية بعنوان: "بنية الجمل الخبرية والإنشائية في قصة موسى عليه السلام"

إشكالية البحث: جاءت هذه الورقة البحثية للإجابة على الإشكالية الآتية: هل ساهم تنوع الجمل بين الخبر والإنشاء وما تتعرض له من تقديم وتأخير وحذف في إقناع السامع لتبني فكر ودين جديدين؟

أهداف البحث: تهدف هذه الدراسة إلى تبيان أهمية البناء اللغوي في الإقناع وضمان سيرورة الأحداث في القصة، وذلك من خلال قصة موسى عليه السلام التي توزعت أحداثها على ربع (¼) سور القرآن الكريم.

منهج البحث: اعتمدنا في هذه الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي الذي يقوم على تفكيك بنية الجمل وربطها بسياقاتها بهدف تحليل معانيها.

خطة البحث: قسمت الدراسة إلى ثلاثة أقسام: خصص القسم الأول للحديث عن القصص القرآني، تناولنا فيه تعريف القصص القرآني والخصائص الفنية له من: أحداث، وشخصيات، وإطار زمني وآخر مكاني، والحوار الذي تتجلى فيه العناية باللغة من حيث التراكيب والمعاني.

أما القسم الثاني فجعلناه لدراسة بنية الجمل الخبرية في قصة موسى عليه السلام، موضحين في البداية ماهية الخبر، ثم أتينا بنماذج من الجمل الخبرية في قصة موسى عليه السلام المذكورة في القرآن الكريم وبحثنا في بنيتها مع ربطها بسياقاتها لاستنتاج معانيها.

أما بنية الجمل الإنشائية في قصة موسى -عليه السلام- فكانت في القسم الثالث من الدراسة الذي تحدثنا فيه عن مفهوم الإنشاء، وأتينا بنماذج من أنواع الإنشاء الطلبي (الاستفهام، والأمر، والنهي، والنداء) نظرا لشيوعه في القصة مقارنة بالإنشاء غير الطلبي.

1. القصص القرآني:

1.1 تعريف القصص القرآني:

جاء القصص القرآني في غالبه من أزمنة غابرة، لذلك كان معنى القصة فيه يدور حول: "البحث في الآثار وتتبع الأخبار، ولا يكون ذلك إلا للشيء السحيق الذي طرق في ضمير الماضي، وأوغل في أطوائه وأحنائه، وضرب في متاهات الدهور والأحقاب"¹، لذلك كانت قصصه -في الغالب- تبتدئ بكلمات تدل على حدوثها في أزمنة غابرة لم نعشها مثل: أوحينا، وנטلو، ونقص...

أما مايميزه فهو توزع أحداثها على سور القرآن الكريم، إذ لا نجد فيه سوى قصة يوسف -عليه السلام- مجموعة في سورة واحدة حملت اسم النبي نفسه.

2.1 الخصائص الفنية للقصص القرآني:

1. 2. 1 الأحداث:

اختلفت طريقة عرض الأحداث في القصص القرآني من قصة إلى أخرى، فتارة يمهّد للقصة بذكر ملخص لها قبل البدء في تفاصيلها²، وتجده تارة أخرى يعرض الأحداث مباشرة دون تمهيد³.

أما عن طريقة سرده للأحداث فهي تسير تدريجيا نحو التأزم، ثم يحول مسارها نحو الحل والانفراج، وهو ما نطلق عليه مصطلح الحبكة التي تعد "سلسلة من الحوادث التي يقع التركيز فيها وفي ترتيبها على الأسباب والنتائج"⁴.

1. 2. 2 الشخصيات:

إذا كانت الأحداث تشكل هيكل القصة، فإن الشخصيات محركها؛ لأن غيابها يشوش فكر القارئ ويدخله في متاهات تجعله يترك القصة دون رجعة، لذلك كان "لكل رواية شخصيات خاصة بها، تبرز طبيعتها وتصرفاتها وتحدد أغراضها في الحياة وطريقة تفكيرها ومعالجتها للقضايا وأهدافها في الكون وتترجم خبايا نفوسها ومكوناتها بما يميز كل شخصية عن الآخرين"⁵.

ولأنّ الهدف من القصص القرآني أخذ العبرة من الأقوام السابقة، وتثبيت قلب الرسول الكريم على تحمل مشاق الدعوة، كان "الشخص في القصص القرآني لا يراد لذاته، وإنما يورد فيه من الأشخاص نماذج موضحة في مجال الخير والشر"⁶؛ لهذا فالشخصية في القرآن لم تذكر اعتباطاً، وإنما كانت الغاية منها إعطاء صورة نموذجية للإنسان الخير أو الشرير، فشخصية موسى نموذج للإنسان الجاد المحبّ للعلم المتشوق للمعرفة، ويوسف نموذج للرجل الحكيم الواعي، وآدم نموذج للإنسان بكل مقوماته.

وعليه فالشخصيات بحسب دورها في القصص القرآني أنواع، هي:

- الشخصيات البطلة وتتمثل غالباً في شخص الأنبياء والرسل، وتنقسم بدورها إلى قسمين: شخصيات نامية يزداد تأثيرها وتتطور مواقفها كلما تقدمت في السن، وتبرز مع موسى ويوسف عليهما السلام. وشخصيات كاملة يكون وعيها مكتملاً، وموقفها واضحاً كشخصية نوح عليه السلام الذي ظهرت شخصيته في فترة تبليغ الرسالة، ولم يذكر شيء عن تطورها.

- الشخصية الشريرة: تقف في الاتجاه المعاكس للشخصية البطلة، أين تحاول الحط من معنويات الشخصية البطلة والاستهزاء بها، وتظهر واضحة جلية في شخص فرعون في قصة موسى عليه السلام.

- الشخصية المساعدة: تظهر بحسب الموقف أو الحدث الذي نريد تصويره، وتعود لتختفي من جديد بانتهاء دورها في المشهد كشخصية هارون في قصة موسى عليه السلام، وشخصية الخضر...

1. 2. 3 الزمان والمكان:

لا تجري أحداث القصة إلا في زمان ومكان محددين، إذ يعد المكان الوعاء الحاوي لأحداثها، بينما يحمل الزمان في طياته دلالات متعددة لوقوع الأحداث في ذلك الوقت بالتحديد، فعندما اختار إخوة يوسف وقت العشاء للعودة دون أخيه فذلك لأنّ الليل أنسب وقت لارتكاب الجرم وإخفائه، واختيار موسى عليه السلام وقت الضحى من يوم الزينة ميقاتا لتحدي سحرة فرعون فلتبيان دلائل واضحة جلية في الوقت الذي يجتمع فيه القوم بعيدا عن انشغالهم.

1. 2. 4 الحوار:

الحوار في جوهره فعل وردّ فعل أو أخذ ورد بين المتحاورين، الغاية منه تبادل وجهات النظر وإقناع الآخرين بقضية معينة، لهذا قيل: هو "خطاب أو مخاطب من أجل الإقناع بقضية أو فعل، وبعبارة أدق، الحوار هو كل خطاب يتوخى تجاوزا مطلقا معينا، ويأخذ رده بعين الاعتبار من أجل تكوين موقف من نقطة معينة سلفا بين المتحاورين، قريبة من هذا الطرف أو ذاك، أو في منتصف الطريق بينهما، صورته المثلى مناقشة بين طرفين أو أكثر"⁷

لقد كان للحوار في القصص القرآني الأثر الواضح في تصوير الأحداث بطريقة تجعلنا نعيش الأحداث بكل تفاصيلها، لهذا عدّ "الحوار في القصص القرآني دعامة لها خطرها في إمداده بالحياة، وعماد له أثره في تلوينه وتنويعه، فالقصص بغير حوار معنى جامد يسد منافذ الشعور، ويزحم النفس بالغث والدون"⁸.

وحتى يكون هذا العماد سميكا وجبت العناية باللغة التي تعد همزة وصل بين المخاطب والمخاطب، لهذا امتازت لغة الحوار في القرآن الكريم بالليونة؛ لأنّ "الخطاب الطبيعي ليس خطابا برهانيا بالمعنى الدقيق للكلمة، فهو لا يقدم براهين وأدلة منطقية، ولا يقوم على مبادئ الاستنتاج المنطقي"⁹، وإن استعملت الحجة فيه فذلك ليشد انتباه المخاطب إلى ما يدعو إليه، ويقنعه به عن طريق الترغيب لا التهيب. كما امتازت بتنوع طرق العرض انطلاقا من اختيار أساليب لغوية متعددة تراوحت بين الخبر والإنشاء اللذين كانت معانيهما تخرج دائما عن المعاني الحقيقية لها.

2. بنية الجمل الخبرية في قصة موسى عليه السلام:

1.2 تعريف الخبر:

يعرف الخبر بأنه الكلام المحتمل للصدق والكذب، لكن هاتين الصفتين غير متعلقتين بالخبر في حد ذاته، بل هما تخصصان ناقل الخبر؛ لأنه من يعطي المصدقية للخبر من عدمها، لذلك قال الجرجاني (471هـ): "لا يتصور أن يكون الخبر حتى يكون له مخبر يصدر عنه ويحصل من جهته، ويكون له نسبة إليه، وتعود التبعة فيه عليه، فيكون هو الموصوف بالصدق إن كان صادقاً وبالكذب إن كان كاذباً"¹⁰. ويستثنى من ذلك قول الله سبحانه وتعالى لأنه منزّه عن الكذب، ولا يكون إلا صادقاً، وكثيراً ما يخرج إلى معان أخرى كالأمر والنهي والدعاء¹¹.

2.2 بنية الجمل الخبرية ودلالاتها في قصة موسى عليه السلام:

تنوعت الجمل الخبرية في قصة نبي الله موسى عليه السلام بتنوع المواقف والأحداث التي تمر بها القصة، فمنها ما اكتفى بركني الإسناد (فعل+فاعل، مبتدأ+خبر)، ومنها ما تعدّها إلى عناصر لغوية أخرى بغرض التفسير والتوضيح؛ لأنّ الأحداث التي تبني على الغموض سيكون مصيرها الإهمال.

ففي قوله تعالى: ﴿فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَجْدًا قَالُوا ءَامَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى﴾ [طه: 70]، جاءت الجملة مكونة من ركني الإسناد: الفعل "آمَنَ"، وضمير المتكلم "نا" فاعل مع جار ومجرور مضاف متعلق بمضاف إليه عطف عليه اسماً آخر يلائم خواتم الآيات اللاحقة من حيث الفاصلة.

ويقول في سورة البقرة: ﴿قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ﴾ [البقرة: من الآية 71]. على الرغم من بساطة الجملة التي تكونت من ركني الإسناد (الفعل والفاعل: جئت) والجار والمجرور (بالحق) والمفعول فيه (الآن)، فإنّ تقديم المفعول فيه زاد من بلاغة القول؛ لأنه يشير إلى استجابة قوم موسى لأمر ربهم بعد مماطلة وأخذ ورد، فقد كانوا يتحججون بعدم معرفتهم للبقرة التي أمروا بذبحها، ولولا أن أعلمهم الله بجميع صفاتها عن طريق نبيه موسى عليه السلام لما فعلوا ذلك.

وإذا كان للتقديم في الآية السابقة دور في بلاغة القول، فإن التأخير من شأنه أن يقوي المعنى؛ ففي قوله تعالى: ﴿وَقَالَ سَتَجِدُنِي إِِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾ [الكهف: 69] عطف جملتين فعليتين على بعضهما، فكانت الأولى مثبتة أكد فيها الفعل بحرف "السين" الذي يفيد تحقيق الوعد، وفصل الفعل عن مفعوله الثاني (صابرا) بجملة "إن شاء الله" الاعتراضية، والتي تؤكد على تصميم موسى -عليه السلام- على التحمل والتجمل -بمعونة الله- ابتغاء الإفادة من العبد الصالح الذي كان يبحث عنه؛ لهذا فالجملة الاعتراضية ذات أهمية في تقوية المعنى لأنها تكون لإفادة الكلام تقوية وتسديدا أو تحسينا¹²، كما أن تأخير المفعول الثاني جاء ملائما لفاصلة الآية؛ لأنه يشترك مع مفعول الجملة الثانية في المقطع الصوتي الأخير.

وإذا بحثنا في جواب الاستفهام، فكثيرا ما نجد المبتدأ محذوفا كما جاء في سورة القارعة ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَّةُ (10) نَارٍ حَامِيَةٍ (11)﴾ والتقدير: هي نار حامية. لكن في قوله تعالى: ﴿هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأُشْفِي بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى﴾ [طه: 18] لم يكن ذكره للمبتدأ "هي" جزافا؛ لأنه يريد أن يبين تعلقه بها، وذلك باعتماده عليها في قضاء حوائجه. لقد جاء في بداية هذه الآية بركني الإسناد ظاهرين مع مضاف إليه "الياء"، وأتبعها بثلاث جمل وصفية معطوفة؛ لأن كل جملة منها "حالتها مع التي قبلها حال الاسم يكون غير الذي قبله إلا أنه يشاركه في الحكم ويدخل معه في المعنى مثل أن يكون كلا الاسمين فاعلا أو مفعولا أو مضافا فيكون حقها العطف"¹³.

ولأن الخوف والتحدّي مقامان لا يمتثلان الإطالة في الحديث فقد جاءت الآيات الدالة عليها في القصة في جمل بسيطة؛ إذ عبر أتباع موسى عن خوفهم من فرعون وأتباعه بقولهم: ﴿إِنَّا لَمُدْرِكُونَ﴾ مكتفين بركني الإسناد وأداتي التوكيد: إن واللام المرحلقة التي زحلقنت عن صدر الجملة إلى الجزء الثاني منها كراهة توالي مؤكدين¹⁴، وكأتم بذلك يؤكدون للسامع مصيرهم المحتوم الذي ينكره.

وفي قوله تعالى: ﴿مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَنْ يُخَشِرَ النَّاسُ ضُحًى﴾ [طه: 59]، جاء ركن الإسناد كلاهما معرfa بالإضافة، غير أنه قدّم الخبر على المبتدأ على الرغم من أولوية التقديم للمبتدأ، لكن

التقديم هنا راجع إلى اهتمام المتكلم بالموعد أكثر من اهتمامه بزمان اللقاء؛ لأنّ اختيار يوم آخر غير يوم الزينة سيكون ميقاتا لهذا الموعد الحسم الذي ستظهر فيه دلائل نبوة موسى عليه السلام للعيان. في حين جاء تأخير المبتدأ ملائما للجملة التي تليه، وهي جملة تفسيرية الغرض منها تبيان السبب الذي من أجله اختير يوم الزينة يوما للقاء فرعون وتحديه، فوق "يوم عيدهم ونوروزهم" ¹⁵ وتفرغهم من أعمالهم واجتماعاتهم، ليشاهد الناس قدرة الله على ما يشاء، ومعجزات الأنبياء ضحوة من النهار ليكون أظهر وأجلى وأبين وأوضح" ¹⁶.

يقول تعالى: ﴿إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ [الكهف: 67]

العناصر النحوية لهذه الآية مثال على الجملة الكبرى التي تحدث عنها ابن هشام (761هـ)، وهي "الاسمية التي خبرها جملة" ¹⁷، فالكاف اسم إنّ، وجملة "لن تستطيع معي صبرا" خبرها، أما هذه الأخيرة فجملة بسيطة جاءت كل عناصرها مفردة، حيث تكونت من فعل مستوف لمفعوله وجار ومجرور. ولأنّ القرآن الكريم تحدى العرب في لغتهم، نجده عني بالحفاظ على الفواصل أيما عناية؛ لأنّها "كقافية الشعر وقرينة السجع" ¹⁸، وهذا ما جعله يقدم الجار والمجرور "معي" على المفعول به "صبرا" في الآية الكريمة.

قد يحذف المبتدأ لما يكون فيه من الحسن والجودة؛ لأنّ الحذف قد يكون أبلغ من التصريح في مواضع كثيرة من الخطاب، فهو "شبيه بالسحر، فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتحدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون به بيانا إذا لم تبين" ¹⁹. وهذا ما نلمسه في قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبُّ السَّمُوتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنْتُمْ مُؤَقِنِينَ﴾ [الشعراء: 24]، ف "ربُّ" خبر لمبتدأ محذوف تقديره "هو"، والسّموات مضاف إليه مجرور.

إن هذا الحذف يتكرر كلما تمادى فرعون في تعنته وتكبره، حيث جاء في آية أخرى قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الشعراء: 28].

التأمل في هاتين الآيتين سيجدهما تشتركان في حذف المبتدأ، وهذا دليل على يقين موسى عليه السلام وإيمانه القوي بربوبية الله ووحدانيته، ومن ثم تحدّيه لفرعون وادعاءاته الذي يظهر في الأجزاء المتوازية للآيتين؛ فقد جاء فيهما ثنائية ضدية (السموات/الأرض، المشرق/المغرب) تتجلى فيهما قدرة الله سبحانه وتعالى. فالسمااء نقيض للأرض؛ لأن الأولى تمثل العالم العلوي والثانية تمثل العالم السفلي، أما الثنائية الثانية فتمثل اتجاهين متعاكسين على مستوى دوائر العرض.

لقد استعان موسى -عليه السلام- بهاتين الثنائيتين لوصف قدرة الله سبحانه وتعالى وحجة لربوبيته، فإذا كان فرعون يدعي الألوهية فليس بإمكانه أن يتحكم في العالم العلوي من كواكب وأجرام ورعود، ولا في العالم السفلي من نبات وبحار وثمار، كما أن ادعاءه للألوهية لم يجعله قادراً على تغيير مجرى الحياة وقلبها وجعل المشرق مغرباً والمغرب مشرقاً.

3. بنية الجمل الإنشائية في قصة موسى عليه السلام:

1.3 تعريف الإنشاء:

عرّف السيوطي (911هـ) الإنشاء بأنه "ما يحصل في الخارج بالكلام"²⁰؛ لأن الغرض من ورائه لا يتحقق إلا بتوفير أدوات معينة خلافاً للخبر.

والإنشاء نوعان: طلبي وغير طلبي، فقد "قال بعض من جعل الأقسام ثلاثة: الكلام إن أفاد بالوضع طلباً، فلا يخلو إما أن يكون بطلب ذكر الماهية، أو تحصيلها أو الكف عنها، والأول الاستفهام، والثاني الأمر، والثالث النهي، فإن لم يحتمل الصدق والكذب سمي تنبيهاً وإنشاءً."²¹

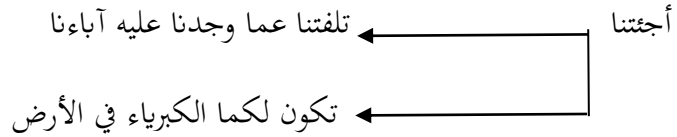
2.3 بنية الجمل الإنشائية في قصة موسى عليه السلام:

1. 2.3 الاستفهام:

إن طبيعة البيئة التي يظهر فيها الأنبياء تفرض عليهم وعلى أقوامهم التساؤل والاستفهام؛ لأنّ التسليم بدين ومعتقد جديدين ليس بالأمر السهل خصوصاً إذا كان قوم النبي المرسل شديدي التمسك بمعتقداتهم، رافضين الاستماع لصوت الحق والعقل مثلما هي حال فرعون وأتباعه.

يقول تعالى: ﴿أَجِئْنَا لِنَلْفِتَنَّا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ﴾
[يونس: 78]

لما أبان موسى آيات نبوته لفرعون اتهمه هذا الأخير بالسحر، وهذه التهمة تحيلنا إلى موقف الكفار من القرآن الكريم، أين جعلوا من النبي الكريم ﷺ شاعرا وساحرا يحاول صرف الناس عن دين آبائهم وأجدادهم. ولأنّ فرعون وأتباعه موقنون للهدف الذي يسعى إليه موسى -عليه السلام- من وراء الدين الذي جاء به، وخائفون من سيطرته على أرض مصر، استخدم الاستفهام ليس بغرض السؤال والاستعلام، ولكن كي يدفع نبي الله إلى الإقرار بما يحول في خاطره. واستخدم لذلك بنية أساسية مكونة من أداة الاستفهام وركني الإسناد ومفعول به تفرعت عنه بنيتان فرعيتان تفسران البنية الأساسية وتعللها.



استغرب بنو إسرائيل من أنه لا سبيل لمعرفة قاتل الشيخ إلا بذبح بقرة، وظنوا أن موسى -عليه السلام- يسخر منهم ولا يعير مقتل الشيخ أهمية، فسألوه متعجبين منكربين عليه قوله، وقد عبر القرآن عن ذلك بكلمات تلائم السياق في قوله تعالى: ﴿أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا﴾ [البقرة: 67] مستخدما تركيبا بسيطا مكونا من فعل متعد لمفعولين فاعله ضمير مستتر.

ولما كان فرعون غافلا عن حقيقة الله سبحانه وتعالى منكرا له، سأل عن ماهيته باستخدام الأداة "من" في قوله: ﴿فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى﴾ [طه: 49]، فكان جواب موسى عن سؤاله حينئذ قائما على ذكر صفاته عز وجل، أما سؤاله عن الله عز وجل باستخدام "ما" في قوله: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: 23] فلا يعني أنه أقر بوجوده سبحانه وتعالى، بل يسأل عن الذي بعثهما ظنا منه أنه إنسان مثله. لكن سواء أكان السؤال بـ "ما" أم بـ "من" فإن مكونات الجمل جاءت متماثلة إلى حد بعيد، مع اختلاف في المضاف إليه الذي جاء في الآية الأولى ضميرا، وفي الثانية اسما.

2. 2.3. الأمر:

تراوح استخدام الأمر في قصة موسى عليه السلام بين التحدي والتعجيز للقوم الكافرين، وبين الأمر الذي يكون على وجه الاستعلاء، ويظهر عادة في الأمر الصادر من الله عز وجل، ومن نبيه عليه السلام، ففي قوله تعالى: ﴿بَلِّغْ أَلْقَا﴾ [طه: من الآية 66] اكتفى بجملته بسيطة مكونة من ركني الإسناد (فعل وفاعل) مسبوقين بـ "بل"؛ لأن الموقف الذي وضع فيه كان موقف تحدٍ بينه وبين السحرة، وهو موقف لا يحتمل مماطلة أو استهزاء أو سخرية. أما استخدامه لـ "بل" فدلّيل على إضرابه عن المبادرة وإثباتها على السحرة.

وتحدى فرعون في موضع آخر باستخدام صيغة الأمر، وذلك بعد أن لمس تعنته، وتماديه في تكذيب نبوة موسى عليه السلام، وتكذيبه وإنكاره لوجود إله واحد له ما في السموات والأرض، طالبا منه الإتيان ببرهان على مزاعمه وذلك في قوله تعالى: ﴿قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِیْنَ﴾ [الشعراء: 31].

أما استخدام الأمر في قوله تعالى: ﴿فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ﴾ [طه: من الآية 72] فصادر عن ضعيف لا حيلة له أمام مصير يعلم نهايته في وجود هذا الطاغية المتجبر، وذلك بعد أن بلغ الحديث بين السحرة وفرعون ذروته حينما خروا سجدا لله الواحد الأحد، ورفضوا اتباع فرعون بعد تيقنهم من صدق موسى عليه السلام، ومعرفتهم لطريق الهداية.

وقد جاءت الآية مكونة من ركني الإسناد اقض (فعل، والفاعل ضمير مستتر وجوبا)، أما المفعول به فيمثله الاسم الموصول "ما" وصلته التي ختمها بخبر على وزن اسم الفاعل الذي شكل مع فعل الأمر جناسا مطلقا توافق ركناه في الحروف والترتيب دون أن يجمعهما اشتقاق²².

ولما اشتدّ ظلم فرعون لبني إسرائيل، وازداد تنكيله بهم وبذويهم، طلب موسى عليه السلام من قومه الاحتمال والتجلد مسخداً للفعلين: استعينوا واصبروا وذلك في قوله تعالى: ﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللّٰهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلّٰهِ يُورِثُهَا مَنْ يَّشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف: 128]. إن توظيفه لصيغة الأمر في هذا الموضع لم يكن بهدف ترهيبهم بالجزاء الذي ينتظرهم إذا

وَلَوْ عَنْ دِينِ اللَّهِ، لَكِنْ ابْتِغَاءَ تَرْغِيهِمْ فِي التَّمَسُّكِ بِمَا أَقْبَلُوا عَلَيْهِ؛ لِأَنَّ حُكْمَ الْبَشَرِ زَائِلٌ بِأَمْرِ مِنَ اللَّهِ، وَالْإِنْسَانُ مَهْمَا عَلَا وَتَجَبَّرَ فَمَالَهُ الْفَنَاءَ، فِي حِينَ أَنْ تَسِيرَ الْكُونُ كُلَّهُ بِيَدِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ؛ لِأَنَّهُ الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ.

3. 2.3 النهي:

إذا كان الأمر قد نال حصة الأسد من الجمل الإنشائية الطلبية، فإنَّ النهي كان على النقيض من ذلك؛ لِأَنَّ الدَّعْوَةَ إِلَى تَبْنِي دِينَ جَدِيدٍ يَفْرُضُ عَلَى الرَّسُولِ اتِّبَاعَ أُسْلُوبِ الْإِقْنَاعِ حَتَّى يَرْغِبَهُمْ فِيهِ، أَمَّا الْغُلُوُّ فِي اسْتِخْدَامِ النَّهْيِ فَمِنْ شَأْنِهِ أَنْ يَشْعُرَهُمْ بِالْعُجْزِ وَالضِّيقِ، فَعِنْدَمَا أَرَادَ اللَّهُ مِنْ مُوسَى وَهَارُونَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ الذَّهَابَ إِلَى فِرْعَوْنَ لِدَعْوَتِهِ إِلَى الْإِيمَانِ بِوَحْدَانِيَّتِهِ خَفَّفَ مِنْ رَوْعِهِمَا بَعْدَ أَنْ لَمَسَ خَوْفَهُمَا مِنَ الذَّهَابِ إِلَى مِصْرَ خَشْيَةَ عِقَابِ فِرْعَوْنَ وَظُلْمِهِ، خَاصَّةً أَنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ هَارِبًا مِنْهَا بَعْدَ أَنْ قَتَلَ شَخْصًا مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ، فَقَالَ لهُمَا: ﴿لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ [طه: 46].

4. 2.3 النداء:

يعمل النداء على لفت انتباه المخاطب نحو الموضوع الذي سيطرحه المخاطب، وقد جاء النداء في قصة موسى عليه السلام مُصَدَّرًا جَمِيعًا بِالْأَدَاةِ "يَا" الَّتِي تَفِيدُ التَّأَكِيدَ بِأَنَّ الْخُطَابَ الَّذِي يَتْلُوهُ مَعْتَنِي بِهِ جَدًّا²³. ففِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ﴾ [البقرة: 54] وَجَّهَ مُوسَى النِّدَاءَ لِقَوْمِهِ مُسْتَعْدِمًا بِالنِّدَاءِ؛ وَلِأَنَّ النِّدَاءَ كَانَ مُوجَّهًا إِلَى فِئَةٍ بَعَيْنِهَا، جَاءَ الْمُنَادِي نَكْرَةً غَيْرَ مَقْصُودَةٍ مَبْنِيًا عَلَى الضَّمِّ، ثُمَّ أَعْقَبَهُ بِجُمْلَةٍ اسْمِيَّةٍ مَكُونَةٍ مِنْ رَكْنِي الْإِسْنَادِ: أَحَدُهُمَا ضَمِيرٌ (اسْمُ إِنَّ) وَالْآخَرُ جُمْلَةٌ فَعْلِيَّةٌ (خَيْرُ إِنَّ) مُسْتَوْفِيَةٌ جَمِيعَ عُنَاصِرِهَا. وَبِمَا أَنَّ الْوُضُوحَ مِنْ سِمَاتِ الْخُطَابِ النَّاجِحِ، فَقَدْ جَاءَ بِجُمْلَةٍ تَفْسِّرُ السَّبَبَ الَّذِي جَعَلَ نَبِيَّ اللَّهِ يَقُولُ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ، وَهِيَ جُمْلَةُ "بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ" وَتَأْوِيلُهَا بِأَنَّ اتِّخَاذَ الْعِجْلِ إِلَهَا.

لقد عمل المصدر "اتخاذا" عمل فعله "اتخذ" وجاء مضافا إلى فاعله، وبما أنَّ الفعل "اتخذ" متعدد إلى مفعولين فإن مصدره يتعدى بالضرورة إلى مفعولين، لكن "قد يأتي اتخذت متعدية إلى مفعول واحد إذا كانت بمعنى عمل وجعل، كقوله تعالى: "وقالوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا"²⁴

لما اطمأنَّت نفوس أتباع موسى للدين الجديد سلموا أمرهم لله الواحد؛ لأنه الوحيد القادر على كَفِّ بلاء فرعون وأتباعه عنهم، لذلك قالوا: ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [يونس: 85].

لقد تعلق أسلوب النداء المكون من أداء النداء المحذوفة والمنادى المضاف بأسلوب النهي الذي استخدم فيه الفعل "جعل" المتعدي إلى مفعولين (نا وفتنة) متبوعا بجار ومجرور ونعت.

وفي قوله: ﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾ [المائدة: 21] جاءت الجملة في بنية أحادية تمثلت في أداة النداء "يا" والمنادى، أي ارتبطت ببنية مزدوجة مكونة من أسلوبين: أحدهما أسلوب الأمر، والآخر أسلوب النهي.

لقد تعدى أسلوب الأمر في هذه الآية ركني الإسناد والمفعول به إلى تابعين من نفس الجنس -صفة- حيث وردت الصفة الأولى كلمة مفردة، في حين استخدم في الصفة الثانية الاسم الموصول (التي). والتقدير: أدخلوا الأرض المقدسة المكتوبة لكم.

أما عناصر جملة الصلة، فقد حذف منها المفعول به "الأرض" لوجود ما يدل عليه في الكلام، في حين اكتفى أسلوب النهي بركني الإسناد وجار ومجرور مضاف إلى الضمير "كم".

الخاتمة :

- إن اهتمام القرآن بلغة القصة لا يقل أهمية عن اهتمامه بجمالية التصوير، حيث نجده يهتم بتناغم فواصل الآيات في القصة حتى إذا كانت موزعة على العديد من السور، مثلما هي الحال في قصة موسى عليه السلام.

- أغلب الأفعال الواردة في قصة موسى عليه السلام دالة على الحاضر مما يجعل القارئ يعيش أحداثها بكل تفاصيلها لحظة بلحظة.

- ليس من السهل الفصل بين الأساليب البلاغية في الخطاب، لأن كل أسلوب يكمل الآخر في إيصال المعنى وتوضيحه؛ فالاستفهام لا يستغني عن الأسلوب الخبري عند الجواب، والنداء لا يكاد ينفصل عن الأمر.

- أغلب الأدوات المستخدمة في الأساليب الإنشائية تمثل الأصول، فالأصل في الأمر أن يكون بصيغة "افعل" والنهي بصيغة "لا تفعل"، أما الاستفهام فالأصل فيه أن يكون بالحروف، لذلك استخدم الهمزة الجامعة لوظيفتي التصوير والتصديق. واستعمل في النداء أشهر أدواته "ياء النداء" التي يتكرر حذفها عند الدعاء تعظيماً لله عز وجلّ

- استعمال المؤكدات يظهر بكثرة عندما يكون هناك موقف فيه تحد وإقناع.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم، رواية ورش عن نافع.

1- إبراهيم محمود خليل، النقد الأدبي الحديث من المحاكاة إلى التفكيك، دار السيرة للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2003

2- أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، دار الكتب العلمية، بيروت، ط6، (د.ت).

3- أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، الدار البيضاء، ط1، 2006

4- الجرجاني (أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن مُجدد (471هـ)، دلائل الإعجاز في علم المعاني، دار المعرفة، بيروت-لبنان، 1989.

5- السيد عبد الحافظ عبد ربه، بحوث في القصص القرآني، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط1، 1979.

6- السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن (911هـ)، الإتيقان في علوم القرآن الكريم، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث، القاهرة، ط3، 1985.

7- العكبري (أبو البقاء عبد الله بن الحسن بن عبد الله (616 هـ) ، إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط1، 1979.

8- ابن كثير (أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (774هـ) ، تفسير القرآن العظيم، دار ابن حزم، بيروت- لبنان، ط1، 2002

9- ابن هشام، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار مكتبة بلال، بيروت، 2001.

الرسائل الجامعية:

10- هاني بوعسلة، عوائق الحوار أثناء العملية التعليمية في الجامعة -قسم اللغة العربية وآدابها أنموذجا-، رسالة ماجستير، جامعة عنابة، 2005-2006

11- يحي عبد السلام، فن الرواية عند محمود المسعدي، رسالة ماجستير، جامعة الإسكندرية، 1988.

الهوامش:

¹ السيد عبد الحافظ عبد ربه، بحوث في القصص القرآني، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط1، 1979، ص 46.

² ينظر سورة الكهف، الآيات [9-12]

³ يظهر ذلك في قصة مريم من خلال الآية الخامسة والثلاثين من سورة آل عمران.

⁴ إبراهيم محمود خليل، النقد الأدبي الحديث من المحاكاة إلى التفكيك، دار السيرة للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2003، ص 174.

⁵ يحي عبد السلام، فن الرواية عند محمود المسعدي، رسالة ماجستير، جامعة الإسكندرية، 1988، ص 103.

- ⁶ السيد عبد الحافظ عبد ربه، بحوث في القصص القرآني، ص54.
- ⁷ هاني بوعسلة، عوائق الحوار أثناء العملية التعليمية في الجامعة -قسم اللغة العربية وآدابها أنموذجا-، رسالة ماجستير، جامعة عنابة، 2005-2006، ص21
- ⁸ السيد عبد الحافظ، بحوث في القصص القرآني، ص 73.
- ⁹ أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، الدار البيضاء، ط1، 2006، ص 14-15.
- ¹⁰ عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، دار المعرفة، بيروت-لبنان، 1989، ص406.
- ¹¹ ينظر السيوطي، الإتقان في علوم القرآن الكريم، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث، القاهرة، ط3، 1985، ج3، ص 225-226.
- ¹² ابن هشام، مغني اللبيب عن كتب الأعراب، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار مكتبة بلال، بيروت، 2001، ج2، ص 286.
- ¹³ عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 187.
- ¹⁴ ينظر السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج2، ص227
- ¹⁵ النوروز أو النيوروز: هو يوم من شهر "فروردينماه" أول شهور السنة عند الفرس.
- ¹⁶ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار ابن حزم، بيروت- لبنان، ط1، 2002، مج3، ص1870.
- ¹⁷ ابن هشام، مغني اللبيب عن كتب الأعراب، ج2، ص 380.
- ¹⁸ السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج3، ص 210.
- ¹⁹ عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 146
- ²⁰ السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج3، ص226.
- ²¹ المرجع نفسه، ج3، ص 226.
- ²² ينظر أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، دار الكتب العلمية، بيروت، ط6، (د.ت)، ص 321.
- ²³ السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج2، ص 259. على حد تعبير الزمخشري.
- ²⁴ العكبري، إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط1، 1979، ج1، ص36.

